حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

المكون الفكرى عند دافيد جروسمان

سوزان ابو السعود

المستخلص

ظهرت حركات يسارية تبحث عن حل الصراع العربي الإسرائيلي بالطرق السلمية، بعيدا عن الحروب وسفك الدماء اللذين يحصدان أرواح ضحايا أبرياء من الجانبين. أفرزت تلك الحركات جيلا من الأدباء أمثال عاموس عوز، و أ. ب. يهوشواع، ودافيد جروسمان، الذين كرسوا جزءا لا بأس به من أعمالهم للتمهيد لتسوية الصراع والوصول إلى سلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. مع ذلك ظلت نبرة الصراع تسيطر على الجزء الأكبر من الأعمال الأدبية الإسرائيلية وانشغل الأدب الإسرائيلي بإدارة الصراع وتأجيجه أو محاولة تسويته والبحث عن حل له، وأهمل ذلك الأدب - في معظمه القضايا الاجتماعية المختلفة داخل إسرائيل.

من هنا كان غريبا أن نجد أديبا يساريا مثل دافيد جروسمان يتخلى تماما عن الحديث عن أي قضية سياسية أو دينية أو ايديولوجية تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، ويركز على موضوع اجتماعي صرف وهو التفكك الأسري وهروب الأبناء من المنزل وانحرافهم عن جادة الطريق، ناهيك عن إهمال الأسرة لأولئك الأبناء الذين يدمنون المخدرات ويصبحون صيدا سهلا للعصابات التي تستغلهم أسوأ استغلال.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة

استغلت الحركة الصهيونية سلاح الأدب وحالة الصراع المستمر لتقاتل به على الجبهة الثقافية بضراوة لا تقل عن تلك الأسلحة التي استخدمتها في الجبهتين العسكرية والسياسية. واللافت للنظر هو أن الأدب كان جزءا أصيلا من الخطوات التي قامت بها الحركة الصهيونية في نطاق حملاتها الدعائية، والسياسية، والعسكرية المشبوهة.

ولا شك أن الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية، وسرعان ما قامت تلك الحركة بتجنيد الأدب ليخدم مخططاتها وليلعب الدورالذي رسمه له قادة الحركة الصهيونية ليخدم هدفا واحدا وهو ضمان قيام دولة صهيونية والعمل على استمرار تلك الدولة في الوجود في المنطقة العربية، لتظل شوكة في حلق الوطن العربي.

من هنا لم يكن غريبا أن تحتل موضوعات الصراع العربي الإسرائيلي مكانا بارزا في الأدب المكتوب بالعبرية منذ بداياته الأولى في فلسطين مع مرحلة الاستيطان القديم، مرورا بموجات الهجرة المختلفة، ووصولا إلى المرحلة الإسرائيلية. ركز ذلك الأدب بمختلف صوره وأصنافه سواء كان رواية أوقصة أومقال أوقصيدة وغيرها، على المعوقات والعقبات التي اعترضت طريق اليهود في سبيل الهجرة غير الشرعية من البلاد التي عاشوا فيها حتى يصلوا إلى فلسطين، التي زعموا أنها أرض الميعاد ومهد الأجداد.

ومع قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨ ظلت موضوعات الصراع تشغل الحيز الأكبر من المؤلفات المكتوبة بالعبرية، غير أنها أخذت منحى جديدا واتسع نطاق الصراع وبدلا من الحديث عن الصراع المسلح بين المستوطنين القادمين من مختلف أنحاء العالم مع المواطنين العرب- أصحاب الأرض الأصليين- ظهر الصراع في صور أخرى مثل الصراع الثقافي بين الثقافة التي حملها اليهود المهاجرين إلى فلسطين والثقافة العربية التي تخص السكان الأصليين، وبمرور الوقت لم يعد الصراع مقصورا على العرب واليهود وإنما تعددت صوره لتشمل الصراع بين المهاجرين المستوطنين وبعضهم البعض، فبدلا من الصراع العربي صار الصراع داخليا بين الجماعات والطوائف اليهودية المختلفة والمتخالفة.

أصبح هذا الأمر يهدد بانفجار المجتمع الإسرائيلي من الداخل، وبتقويض الدولة التي سعى رجال الصهيونية الأوائل إلى جعلها تضرب جذورا بعيدة داخل فلسطين. لذا لم يكن غريبا أن تحاول النخبة الإسرائيلية وصناع القرار أن يعيدوا الأدب إلى نقطة البداية ليؤجج الصراع من جديد ويجعل المجتمع الإسرائيلي في حالة خوف دائم تقوده من حرب إلى حرب ومن صراع إلى آخر. فالمتتبع لتاريخ الكيان الصهيوني منذ بداياته الأولى يجد أن الحروب بينه وبين العرب لم تتوقف يوما، بدءا من المناوشات الأولى التي وصلت إلى ذروتها في عام ١٩٣٦، مرورا بحرب فلسطين عام ١٩٤٨، فالعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وحرب يونيو ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف، ثم انتصار أكتوبر المجيد عام ١٩٧٣.

ولم تتوقف الحروب بعد ذلك وإنما ظل ذلك الكيان يبحث عن ساحات جديدة للحرب، فانتقل إلى العدوان على لبنان، وارتكب مذابح ضد الفلسطينيين أينما كانوا، وكان آخر عدوان عام ٢٠١٤ فيما عرف باسم عملية "الجرف الصامد" ضد قطاع غزة.

في غضون ذلك ظهرت حركات يسارية تبحث عن حل الصراع العربي الإسرائيلي بالطرق السلمية، بعيدا عن الحروب وسفك الدماء اللذين يحصدان أرواح ضحايا أبرياء من الجانبين. أفرزت تلك الحركات جيلا من الأدباء أمثال **عاموس عوز، و أ. ب. يهوشواع، ودافيد جروسمان،** الذين كرسوا جزءا لا بأس به من أعمالهم للتمهيد لتسوية الصراع والوصول إلى سلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. مع ذلك ظلت نبرة الصراع تسيطر على الجزء الأكبر من الأعمال الأدبية الإسرائيلية . وانشغل الأدب الإسرائيلي

بإدارة الصراع وتأجيجه أو محاولة تسويته والبحث عن حل له، وأهمل ذلك الأدب - في معظمه- القضايا الاجتماعية المختلفة داخل إسرائيل.

من هنا كان غريبا أن نجد أديبا يساريا مثل دافيد جروسمان يتخلى تماما عن الحديث عن أي قضية سياسية أو دينية أو ايديولوجية تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، ويركز على موضوع اجتماعي صرف وهو التفكك الأسري وهروب الأبناء من المنزل وانحرافهم عن جادة الطريق، ناهيك عن إهمال الأسرة لأولئك الأبناء الذين يدمنون المخدرات ويصبحون صيدا سهلا للعصابات التي تستغلهم أسوأ استغلال.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهم التأثيرات التى أثرت على البنية الفكرية لدى دافيد جروسمان ومدى تأثيرها على أعماله الأدبية.

منهج الدراسة:

استعنت في كتابة هذه الدراسة بالمنهج التكاملي لما يتيحه للباحث من قدرة على التصدي لكافة جوانب البحث والإلمام بها بطريقة سهلة غير معقدة. ولم يقتصر البحث على المنهج الوصفي أو الأدبي وإنما تخطاه ليصل إلى التحليل النفسي للشخصيات.

نشأته :

ولد الأديب الإسرائيلى دافيد جروسمان דויד גרוסמן فى القدس عام ١٩٥٤م، التحق بالجامعة العبرية فى القدس حيث درس الفلسفة و تاريخ الدراما و المسرح ، كما عمل مراسلا لإذاعة صوت إسرائيل ، واستقال من عمله احتجاجا على سياسة تكميم الأفواه خصوصا فيما يتعلق بتغطية المناطق المحتلة ومعاناة الفلسطنين تحت وطأة الاحتلال.

وبعد انتهاء خدمته في الجيش التحق جروسمان بالجامعة العبرية في القدس،حيث درس الفلسفة، وتاريخ الدراما،والمسرح [١] . وقد انعكست دراسته للفلسفة في أعماله الأدبية، وذلك يتضح لنا من خلال المضمون الذي تحويه تلك الأعمال . نشرت قصصه الأولي في دورية "סימן קריאה " "علامة تعجب"، وفي ١٩٧٩ بعد انتهاء دراسته وقبل أن ينشر مجموعته القصصية الأولي "רץ"، "جري . [٢]

يعده كثيرون ناشطا من أجل السلام، كما يعد لدى النقاد فى الغرب أحد المدافعين عن السلام فى إسرائيل وهو من أوائل الذين بشروا بعملية الرصاص المصبوب وعامود السحاب والجرف الصامد فى كتاباته.

مر أسلوب جروسمان فى الكتابة الأدبية بمرحلتين :

الأولى : تأثر فيها كثيرا بأسلوب جيل الستينيات فى الكتابة لدرجة أن بعض النقاد الإسرائيليين اعتبروه الوريث الشرعى لأدب كل من : أ.ب يهوشواع وعاموس عوز[١].

وقد اعتبره البعض الآخر مجددا للصيغ القصصية التي اتبعها أدباء السبعينيات وعلى رأسهم الأديب الإسرائيلي إسحق بن نير[٢] .

الثانية: تأثر فيها بتجربتى الحداثة وما بعد الحداثة فى مضمون الأعمال وشكلها البنيوى. ويمكن اعتبار بداية هذه المرحلة مع رواية (راجع مادة : حب) .

وهناك من النقاد من يضع جروسمان على رأس الأدباء الإسرائيليين الذين نشرت أعمالهم ابتداء من حقبة الثمانينات، وكانوا لا يزالون فى مرحلة اكتساب الخبرة الكافية والوصول إلى مرحلة من النضج الأدبي [٣].

حصل جروسمان على العديد من الجوائز منها جائزة " نيومان " عام ١٩٧٩ عن قصته " ركض"،وجائزة هارى عام ١٩٨٠ عن قصتة " حمير "، جائزة رئيس الوزراء للعمل الإبداعى، وتم تكريمه عام ٢٠٠٤ بجائزة بريميو فلايانو الإيطالية المرموقة، وفى عام

٢٠٠٧ منح شهادة الدكتوراة الفخرية من الجامعة الكاثوليكية فى لوفان ببلجيكا، وفى عام ٢٠٠٨ منح جائزة " إيميت" فى الإبداع الأدبى، كما منح منح بجائزة جسفسترشول بريز الأدبية الألمانية.

أعماله الأدبية :

- قصة " דו קרב مبارزة " ١٩٨٢
- רץ " ركض " ١٩٨٣
- رواية " חיוך הגדי ابتسامة الجدى "" ١٩٨٣م
- رواية " עיין ערך : אהבה راجع مادة : حب " ١٩٨٦
- " הזמן הצהוב الزمن الأصفر " ١٩٨٧
- גן ריקי " روضة ريكى " ١٩٨٨
- قصة قصيرة بعنوان " חמורים حمير " ١٩٨٩م
- رواية "ספר הדקדוק הפנימי " الرحيل إلى الذات "١٩٩١
- נוכחים נפקדים " الحاضرون الغائبون " ١٩٩٢
- رواية " יש ילדים זיגזג هناك أطفال منحرفون "١٩٩٤
- رواية " שתהיי לי הסכין كونى لى السكين " ١٩٩٨
- رواية " מישהו לרוץ איתו" شخص ما لأسعى معه "٢٠٠٠
- رواية " בגוף אני מבינה أنا أفهم في الجسد " ٢٠٠٢
- قصة " מומיק موميك " ٢٠٠٥
- " אשה בורחת מבשורה إمرأة هاربة من البشارة" ٢٠٠٨
- رواية الأطفال "החברה הסודית של רחלי" "صديقة راحيلي السرية" ٢٠١٠
- رواية " נופל מחוץ לזמן الواقع خارج نطاق الزمن " ٢٠١١
- رواية " חיבוק :عناق " ٢٠١١
- رواية " סוס אחד נכנס לבר اقتحم احد الخيول حانة " ٢٠١٤
- رواية الأطفال "נסיכת השמש" "أميرة الشمس" ٢٠١٥

من خلال دراستنا لإنتاجات هذا الأديب اتضح لنا أن هناك عدة مؤثرات ساهمت فى تشكيله القارئ من أبرزها الأسرة والدراسة، والمجتمع الإسرائيلى، والتراث الدينى الإسرائيلى، ثم انضمامه لجماعة السلام الان، ممايدل على تنوع روافده الثقافية، وبناء على ذلك سنتناول أثر كل مكون من هذة الكونات على حدة .

١- ***الأسرة وأثرها فى تكوينه الفكرى :***

أن الإبداع لدي الأديب إنما هو " نتاج مجموعة من التجارب والخبرات السابقة في حياته، بالإضافة إلي مجموعة من المهارات المكتسبة والتي تمثل الأدوات التي يعبر بها الأديب عن تلك الخبرات والتجارب " (١) . ويذكر أن جروسمان بدأ يهوى الأدب في سن الثالثة حين كان والده يقرأ له قصصا مثل "אפרוח בעל מוח" الكتكوت الفصيح، ويؤكد جروسمان أن آرائه في القصص التي قرأها من قبل ربما تختلف إذا عاد ليقرأها مرة أخرى حيث إن المرء لا ينزل النهر مرتين . وكان لبيت جدته أكبر أثر في تشكيل وجدانه لأنه كان يجد الكتب هناك .(٢)

لعبت طفولة جروسمان دورا مهماً فى تشكيل شخصيته الأدبية وصياغة ملامحها العامة، وعنها يقول جروسمان : " كانت طفولتى سعيدة وهانئة، فأمى كانت تعمل فى وزارة الصحة، وحينما أنجبتنى كانت تبلغ من العمر عشرين عاماً، وهكذا لم تكن هناك فجوة عمرية حقيقية بيننا، فكان هناك تقارب من نوع خاص بيني وبينها . أما أبى فكان فى بداية حياته سائقاً للشاحنات، ولكنه تحول بعد ذلك للعمل في مجال الوساطة العقارية . واستطيع القول إن شخصيته كانت تتسم بالعقل والاتزان . وكانت علاقتى بهما ذات طابع خاص . نلت منهما كل الحب والتشجيع طوال حياتى، وكانا بمثابة جمهورى الخاص حيث كانا يقرآن كل ما أكتبه قبل أن أطرحه للجمهور". (٣)

وبالرغم من الطفولة التي تبدو طبيعية وسوية، التي أمضاها جروسمان في كنف والديه، هناك العديد من التساؤلات والقضايا التى شغلت فكره على مدى سنوات الصبا والشباب ومنها : لماذا يجد الإنسان نفسه مجبراً على خداع نفسه بعض الشيء لكى يصدق أن الأمور ستكون على ما يرام ؟ ولماذا كان والداه يستجيبان لكل مطالبه دونما تردد ؟ كل تلك التساؤلات وغيرها طرحها من خلال معظم كتب الأطفال التي ألفها ومن خلال روايته " الرحيل إلى الذات " وذلك حينما تعرض لوصف مخاوف الطفولة التى كانت ومازالت مصدر أرقه الأول والأخير، يضاف إلى ذلك أن جروسمان كان طفلاً انطوائياً، حيث كانت تلك التساؤلات تملأ عليه وقته فلا يكاد يجد وقت لعقد صداقات، وهو ما انعكس في معظم أعماله .(١)

وبالرغم من الرعاية التى حظى بها جروسمان من والديه، إلا أنه من الملفت للنظر فى جل أعماله أن الأبطال فيها هم أطفال دون سن البلوغ، بالإضافة إلى وجود العديد من السمات التى تجمع بين هؤلاء الأطفال كالمعاناة والخوف المبرر وغير المبرر من المجهول، بالإضافة إلى ماضيهم المأساوى أو حاضرهم الكابوسى . وربما كان السبب الرئيس فى هذه الأزمة النفسية لدى جروسمان أنه ينحدر من أصول بولندية بالرغم من كونه إسرائيلى الميلاد والنشأة مما يعنى أنه ورث عن والديه ذكريات أحداث النازي (والتى كانت بولندا مسرحاً لأحداثها).(٢)

تأثر جروسمان بشدة بالقصص التي كان يقرأها وهو طفل صغير سواء في بيت أبويه أو في بيت جده، وكيف كان لها أكبر الأثر في تشكيل وعيه ووجدانه. وسرد بعض تلك القصص مثل "زوربا اليوناني" التي قرأها في سن الثالثة عشرة، حيث قال إنه حاول أن يقلد زوربا حتى أنه قام بتمزيق بعض من صفحات الكتاب ومضغها وهو الأمر الذي يذكرنا بشخصية أهارون في رواية " الرحيل إلى الذات "، الذي قام بدس خطاب ورقي داخل أنفه ليصل إلى عقله ليسأله لماذا تأخر بلوغه. ويفسر جروسمان ذلك بأن أثر القصة عليه جعله يصبح مفكرا وربما مجنون أصابته القراءة بالهوس. ولعل رواية " الرحيل إلى الذات " هي الرواية التي يبرز فيها جروسمان ملامح البيئة التي عاش فيها. فقد حرص على وصف معالم مسرح الأحداث في تلك الرواية لتتوافق مع المكان الذى عاش فيه مرحلة الطفولة، وهو بالتالي يعكس لنا مدى تأثير تلك المرحلة في الكثير من أعماله .(٣)

أن أبطال روايتى : " راجع مادة : حب " ١٩٨٧م، ورواية الرحيل إلى الذات " ١٩٩١م، طفلين هما **מומיק** موميك، و **אהרון** أهارون وكان لكل منهما مخاوفه الخاصة، فالأول يخشى من تكرار أحداث النازى ، وهو عنصر أشرنا إليه فى طفولة جروسمان، حيث أن التجربة تركت أثرها فى وجدانه بالرغم من أنه لم يعاصرها بالمرة . أما الطفل فى الثاني فهو طفل متخوف من مرحلة المراهقة بكل ما تحمله من تغيرات فى الجسم وفى السلوك . والملاحظ أن النهاية فى الروايتين واحدة وهى انتحار الطفلين . وعن هذه

النهاية يقول الناقد الإسرائيلي جرشون شاكيد : " تحظى الطفولة بكل مراحلها باهتمام غير مسبوق من الأديب الشاب دافيد جروسمان، غير أنه من المؤسف أن تكون الطفولة في أغلب الأحوال بهذا البؤس وهذه السوداوية التي لمسناها من قبل في رواية (راجع مادة : حب)" (١) .

أما روايـة " ابتسامة الجدى " ١٩٨٣م، والتى كانت باكورة الأعمال الروائية لجروسمان فلم تخل هى الأخرى من طفل مريض نفسياً هو **مورد**ي موردى، والذى كانت تعالجه زوجة البطل . كما أن الضابط **קצמן** كاتسمان مر بالتجربة النازية فى طفولته فتركت أثرها العميق فى نفسه،

بل يمكن القول إنها أصبحت المبرر الوحيد لتصرفاته الوحشية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة .(٢)

وعن طفولته وأثرها في انتاجه الأدبي يقول جروسمان إنه بعد أن عاش ثلاث سنوات في الطفولة المخيفة التي أمضاها أهارون بطل رواية " الرحيل إلى الذات " شعر أنه لا يستطيع الاستمرار . يقول جروسمان عن مشاعره تجاه تلك الرواية : "حين تكتب رواية تفكك ذاتك. كلما زاد التفكيك، كلما كانت الرواية أفضل. وتختفي الأغشية الشعورية الواقية من كتابة التي تليها. وتصبح مشاعرك مكشوفة وعارية بصورة أكبر وأكثر عرضة للتلف. ينبغي عليك أن تتجرد من كل وسائل الحماية التي بذلت جهودا مضنية في بناءها على مدى سنوات عمرك. وخلافا للإعتقاد السائد أن تأليف كتاب يطرد من داخلك الأشباح ويحل مشاكلك، أشعر أن الكتب التي ألفتها جعلت مشاكلي تتفاقم ."

يقول جروسمان إن المرحلة الانتقالية بين الطفولة والمراهقة تجذبه بشدة وهو ما يظهر بوضوح في شخصية أهارون خلال رواية " الرحيل إلى الذات " عام ١٩٩١، ومومیك في رواية "راجع مادة حب "عام ١٩٨٦ حيث قام بتجربة داخلية تهدف إلى مراجعة جوانب مختلفة من النمو النفسي وبناء الهوية الشخصية .

<u>أثر الفلسفة في تشكيل فكره :</u>

التحق جروسمان بالجامعة العبرية بالقدس ودرس الفلسفة وتاريخ الدراما والمسرح، وكانت دراسة جروسمان للفلسفة أحد العناصر التى أثرت بشدة فى طريقة تناوله للموضوعات التى تزخر بها رواياته . فنجده يقول : " أنا أؤمن بأن الطريقة المثلى للتعرف على أنفسنا هي أن نعرف آباءنا، وأتذكر أنني تساءلت : من أنا ؟ وما الصفات التى حملتها عن والدى ؟ وما هى الصفات التى حملها أولادي عنى ؟ ذلك هو السؤال الذى ما زلت أبحث عن إجابة له في كل رواياتي " (١) .

فالقضية الفلسفية فى أعمال جروسمان هي محاولة فهم (الأنا) الذى غرسه شخص ما بداخله . فهو يعتبر أن الإنسان يمثل ساحة من المتناقضات الخاصة بوالديه : أي أن حياة الإنسان – كما يرى جروسمان – عبارة عن أنماط سلوكية مختلفة اكتسب أغلبها من والديه بحكم النشأة والاحتكاك اليومى المباشر .

ويضرب لنا جروسمان مثلاً بسيطاً لذلك فيقول : " إن ابنى أورى تعلم منى كيف يربط الحذاء بشكل معين بينما علمته والدته كيف يربطه بشكل آخر " (٢) . والقضية هنا برغم بساطة المثال هى محاولة التأقلم مع طبائع معينه متناقضة تسبب المعاناة . فالإنسان يبذل الجهد للتعايش مع ذلك الأنا المفروض عليه إذا كان شخصاً قدرياً يقبل بما هو كائن، ويعجز عن محاولة تغييره، أما إذا كان شخصاً متمرداً يعشق التجديد والإبداع واللانمطية فسوف يحاول بكل السبل أن يبرز شخصيته الخاصة .

أما من ناحية الجيل أو الجماعة الأدبية التى ينتمى إليها جروسمان، فهو ينتمى إلى הגל המפוכח الجيل الواقعى الذى بدأت كتاباته تطفو على السطح مع نهاية السبعينيات

ومطلع الثمانينيات من القرن الماضي. وقد تميزت كتابات تلك الفترة بتوجه أدبى وثقافى واقعى تفرضه الأحداث المتلاحقة على الساحة السياسية فى إسرائيل حيث كان مطلب الجمهور الإسرائيلى من الأدب فى تلك المرحلة أن يعرض بشكل واقعى وموسع لكل من قضايا الفرد وقضايا الجماعة ولكل من الحاضر والماضي التاريخي، كما تميزت الأعمال النثرية فى تلك الفترة بالطابع النفسي المعقد الذي يقوم في الأساس على عالم شخصي شديد الإيلام، يحمل رمزا ذا مغزى قومى أو عام " [١] .

وصاغ دافيد جروسمان حقيقة شعور سكان إسرائيل من اليهود أن الدولة التي يعيشون فيها لن تستمر طويلا وسوف تزول في أسرع وقت، حين كتب يقول:" كيف لا نثق في وجودنا. يخيل لي أن هذه هي المسألة الأساسية. ما هذا الأمر؟ هل نمتلك نحن اليهود صفة وراثية تجعلنا غير قادرين على العيش في مكان واحد؟" [٢]

يظهر في أعمال جروسمان اتحاد مكون من ثلاثة أجزاء يبدو وكأنه لوحة ثلاثية أدبية تضم روايات راجع مادة : حب ١٩٨٦، الرحيل إلى الذات ١٩٩١، وامرأة تهرب من بشارة ٢٠٠٨ . ويبدو أن أجزاء هذه الثلاثية قد أمسكت ببعضها البعض لرسم صورة متكاملة، أو ربما لتصبح أيقونة لبشارة فلسفية وأخلاقية واحدة. قام جروسمان بكتابة الروايات الثلاث بفوارق زمنية تتراوح بين خمس وسبع عشرة سنة لكن الخطوط الرئيسة بها وهي الحديث عن الأبوة والبنوة، تضمن انتقالا متواصلا وسلسا من إحدى لوحات الثلاثية إلي الأخرى مما يجعل الروايات الثلاث تبدو وكأنها حكاية واحدة. [٣] وتبدو اللوحة الثلاثية وكأنها أيقونة يضعها جروسمان فوق أرضية وعي الجماعة الإسرائيلية باعتبارها نوع من قصص استخلاص الأمثال والعبر الأخلاقية أخذت من الحياة الحقيقية التي تعيشها الجماعة، سواء كانت حياة عائلية أو سياسية أو قومية. وتعد الروايات الثلاث مشروعا شعوريا واحدا يهدف إلي كشف العلاقات الأساسية بين استخدامات اللغة والعالم الحقيقي الذي تستخدم فيه. ورغم القيم العالمية التي يحملها هذا المشروع، التي يمكننا التوصل إليها من خلال التشجيع الكبير الذي يحظى به جروسمان من جانب جمهور القراء علي المستوي الدولي، وخاصة في أوروبا، يمكن القول إن فلسفة اللغة الخاصة به تنبع من طابع جروسمان الإسرائيلي ومن الدافع الأخلاقي الذي يحركه باعتباره أديب عبري- إسرائيلي.

إن الجانب الفلسفي للغة، والذي يظهر في كل أجزاء هذه الثلاثية التي كتبها جروسمان، يرتبط دائما بعملية طقسية من المونولوج اليومي مبتكر ومتجدد يوميا. والمونولوج هو تعبير عن وعي يبتكر العالم أثناء الكلام. [١] وهذه ميتافيزيقا الكشف عن اللغة كما يفعل الأطفال في أوقات كثيرة جدا، لذلك تأتي علي لسان شخصيات طفولية أو شباب في مقتبل العمر؛ حيث يخلق الأطفال دنياهم باللغة التي يبتكرونها، كما يقوم البالغون الذين تجاوزوا مرحلة الطفولة بقليل بالعملية ذاتها بابتكار لغة عائلية، بطريقة تبدو أعلي وأكثر تعقيدا من لغة الأطفال. ومعظم أبطال جروسمان بالغون أو صغار يكافحون من أجل الحفاظ علي العلامات غير المتكررة التي ابتدعتها لغتهم، حتي يجعلوا عصرهم واقفا عند الحقبة الطفولية الأولية. وتستهدف نصوص جروسمان قطاعا عريضا من القراء، لكنها تصف في واقع الأمر حكايات عن مراسم تكوين لغات إشارات ذات خصوصية، ومعاجم تحتوي علي كلمات لا تستعمل سوي مرة واحدة وقواعد نحوية مبتكرة يستهدف بها الكاتب الأشخاص المطلعين علي أسراره. ويحاول جروسمان تحرير أبطاله الكبار من اللغة الرسمية ومن استخدامها في الأوساط الاجتماعية الرسمية. ويتجلى هذا التحرر في وصف عمليات البلوغ البيولوجية للأبطال،كما يظهر في الصياغة الأدبية البلاغية الأوسع للمواقف التاريخية الثقافية المتباينة في المجتمع الإسرائيلي كله، الذي يعد السواد الأعظم منه مجتمع

مهاجرين وأبناء مهاجرين يمرون بعملية بلوغ إجبارية داخل مساحة ثقافية جديدة، وهي عملية يعتبرها جروسمان، ككاتب إسرائيلي، ميزة لا عيبا. (٢)

٢- *المجتمع الإسرائيلي وأثره في تكوين فكره:*

يعد جروسمان واحداً من أشهر الأدباء الإسرائيليين من الجيل الحالى، حيث عبر بدقة عن مواقفه إزاء مختلف القضايا التى شهدها جيله . وفى معظم أعماله نجده يصف القيادة الإسرائيلية بطريق غير مباشرفى معظم الأحيان، حيث كانت السياسة والواقع الاجتماعى للمجتمع الإسرائيلى تأثير فى تشكيل فكره .

تلعب السياسة والواقع الاجتماعى للمجتمع الإسرائيلي دوراً بارزاً فى تشكيل ملامح الشخصية الأدبية لجروسمان، حيث نجده يعبر بكل صراحة من خلال أعماله عن مواقفه السياسية إزاء القضايا المختلفة التى شهدها جيله سواء كانت قضايا سياسية أم اجتماعية .

وقد أثارت هذه الأعمال ضجة كبيرة فى الأوساط الثقافية داخل إسرائيل وخارجها. حيث اتخذت فى الكثير من الأحيان موقف المعارضة والتصدى للاتجاهات السياسية المتشددة للحكومات الإسرائيلية .

فقد عمد جروسمان تسجيل مواقفه من الزعماء الإسرائيليين ومن سياساتهم التى وصفها فى معظم الأحوال بالتخبط والتناقض، الأمر الذى أدى فى كثير من الأحيان إلى أوضاع كارثية ألمت بالمجتمع الإسرائيلي .(١)

وقد جاءت كلها فى صيغة مبادئ بلورتها تجربته الميدانية فى المخيمات والأراضى المحتلة ومعايشته للأوضاع المأساوية التى يمربها أبناء المخيمات والتى حذر منها فى أكثر من محفل، وأفرد لها أعمالاً كاملة لدرجة أن معظم الروايات التى كتبها حملت مضامين سياسية مهمة، كما أنه أفرد عملاً كاملاً يعد بمثابة شهادة وثائقية عن الأوضاع فى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بعنوان "**הזמן הצהוב** الزمن الأصفر" ١٩٨٦م، وهو كتاب انطباعات ألفه بعد جولة قام بها في الضفة الغربية وقطاع غزة وشملت زيارة المستوطنات أيضا.(٢)

حيث كتب أن "اللاجئين قد حولوا أنفسهم إلى قرناء لأناس كانوا فى الماضى، فى مكان أخر، أناس لايمسكون فى ايديهم سوى حرفة واحدة : القدرة على الإنتظار، فى اشارة الى تشابه بين

احداث النازى والوضع الفلسطينى فى الاراضى المحتلة.كتب جروسمان وهو يصف المستوطنين "تكاد لا تجد في بيوتهم كتبا، باستثناء الكتب الدينية"، وهو يقصد بذلك أنهم يتسمون بالجهل وانعدام الثقافة العامة. ويبدو أن الحديث عن الجهل لا يتعارض مع حجرة العمل المليئة بالكتب لدى الحاخام يوئيل بن نون، الذي يبدو معتدلا، حيث إنه يعتبرالاستثناء المتعلم في القاعدة العريضة الجاهلة. (٣)

ويؤكد جروسمان أنه رآهم في الأيام العادية حيث الهدوء والسكينة بعيدا عن موسم ولعهم المسيحاني، والبحث عن الخلاص الذي يسبب لهم حالة من التوتر الشديد. حقا إن جروسمان يقصر حديثه على المستوطنين الذين ينتمون إلى الصهيونية الدينية، لكن التمييز الواضح بين الاستيطان والصهيونية الدينية داخل المجتمع الإسرائيلي يؤدي إلى تعميم هذا الحكم على الصهيونية الدينية برمتها، حتى ولو لم يكن هذا الحكم مباشرا وصريحا. ونبه يائير شيليج إلى أن تكرار تصور معين نجح في ترسيخه في الوعي الجمعي الإسرائيلي، لدرجة أن أديب ثاقب الرؤية مثل دافيد جروسمان قد استنسخ ذلك التصور، دون أن يضع في الاعتبار أن الأشخاص الذين قابلهم في مستوطنة عوفرا يشبهون المواطن الإسرائيلي العادي، أو ما يعرف برجل الشارع .(١)

وتعد رواية " اقتحم احد الخيول حانة" ٢٠١٤ أحدث إبداعاته ألادبية، وقد اتخذها جروسمان وسيلة لمواجهة الواقع السياسي الجديد عقب الأحداث المتتالية للحروب وفقدان ابنه، ويكشف عنوان الرواية عن طبيعة تمرده على الواقع المرير الذى يمر به .

كما نجد رواية " الواقع خارج نطاق الزمن " أكثر اختلافا عند جروسمان حيث يحكى فيها عن موت ابنه أورى فى حرب لبنان الثانية عام ٢٠٠٦، وتدور أحداثها عن حياته بعد فقدان ابنه فى هذة الحرب فيقرر ان يذهب للبحث عن ابنه الميت على الرغم من إنه يعلم بقتله، ولكنه يتجول فى كل أرجاء المدينة يبحث عنه، ولم يهدأ له جفن حتى اطلق على بطل الرواية " الرجل الذى يمشي " ثم يتبعه اباء وامهات اخرين يسيرون خلفه بحثا عن ابنائهم الذين فقدوهم فى الحروب .

نجد معظم الروايات التى كتبها جروسمان حملت مضامين سياسية مهمة، وتتحدث عن الأوضاع فى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، مواقفة السياسية لم يتوقف عند حد الأعمال الأدبية بل نجده عضو نشط من أعضاء حركة " السلام الآن " 1979عام، وذلك فى أعقاب توقيع اتفاقية كامب ديفيد وزيارة الرئيس السادات لإسرائيل، وشارك فى العديد من مسيراتها الاحتجاجية على السياسات الوحشية ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، كما اعتقل جروسمان فى أعقاب إحدى التظاهرات السلمية فى عهد رئيس الوزراء الإسرائيلى إسحق رابين عام 1991م .

يؤمن جروسمان كثيرا – كغيره من الأدباء اليساريين – بحق الشعب الفلسطينى فى دولة مستقلة وذلك لإنهاء المعاناة التى يعيشها أبناء شعبه من جراء العمليات الفدائية المستمرة من الجانب الفلسطينى والتى قتل فيها العديد من الإسرائيليين . فالإيمان بالدولة الفلسطينية عنده يعنى الحل الواقعى لإنهاء معاناة الشعب الإسرائيلى . وقد ترجم جروسمان هذا الرأى فى العديد من المقالات فى الصحف الإسرائيلية والأجنبية معبرا عن رغبته فى التوصل إلى حل نهائى لهذا الصراع .

وكان لجروسمان رأى مضاد لحكوماته المتشددة إزاء الشعب الفلسطينى، وينبعث هذا الموقف أيضا من خوفه على بنى شعبه وليس من خوفه على الشعب الفلسطينى أو حبا فيه، وانعكس ذلك من خلال كتابه " الزمن الأصفر " حذر فيه من خطورة الأوضاع فى تلك المخيمات وتنبأ من خلاله باندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى .

" יש לי תחושה רעה : אני חושש שהמצב הקיים יימשך בדיוק כפי שהוא עוד עשר או 20 שנה . יש לכך ערובה אחת מצויינת , והיא הטמטום האנושי והרצון שלא לראות את האסון הקרב . אבל אני בטוח גם שיגיע רגע שנהיה אנוסים לעשות דבר מה , ויתכן שמצבנו אז יהיה נחות עוד יותר מעתה .

"ينتابني شعور سيئ : أخشى أن يستمر الوضع القائم على ما هو عليه بالضبط لعقد أو اثنين. وهذا الأمر له ضمان ممتاز، ألا وهو الحماقة البشرية والرغبة في الامتناع عن رؤية الكارثة الوشيكة . لكنني على يقين أننا سنصل إلى اللحظة التي سنضطر فيها إلى فعل شيء، وربما يكون وضعنا عندئذ أكثر سوءا مما هو عليه الآن " [١] .

وسرعان ما أثبتت الأيام صحة رؤيته وتفجرت أعمال الانتفاضة الأولي في العام التالي مباشرة. ومع دخول الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي في العديد من جولات المفاوضات عبر جروسمان في أكثر من لقاء تليفزيوني معه عن رغبته في وضع حد لمعاناة الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي علي حد سواء .

يري جروسمان أن اسرائيل جربت طريق السلام مع الفلسطينيين علي محمل الجد مرة واحدة فقط، في عام ١٩٩٣. لكن هذه الخطوة فشلت، و" من هذه اللحظة وكأن إسرائيل قررت أن تضع حدا لهذه الإمكانية إلي الأبد. هنا يعمل المنطق المشوه لليأس: اذ جربنا طريق الحرب، الاحتلال، الإرهاب، الكراهية عشرات المرات، ولم نتعب أبدا ولم نيأس منه". (١)

ومرت الأيام لتضع جروسمان في موقف حرج لاختبار صدق مبادئه الداعية للسلام . فمع اندلاع انتفاضة الأقصى الثانية في نوفمبر عام ٢٠٠٠م التحق يوناتان **يونتن** الابن الأكبر لجروسمان بالخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي وهو واقع جديد وصعب لم يستطع جروسمان الهروب منه، كما لم يستطع الكتابة عنه، فتوقف عن الكتابة لفترة تقارب الستة أشهر، وعن هذه التجربة يقول جروسمان : " بعد فترة من الوقت رأيت أن امتناعي عن الكتابة سيزيد موقفي سوءا فعدت إلي الكتابة . ومن المحزن في الأمر أنني تحاورت مع ابني متصورا أنني قد أصل معه إلي حل في هذا الصدد . فماذا لو شارك في عملية اقتحام لمخيم جنين ؟ ماذا سيكون موقفي وقتها ؟ ومما زادني هما وغما أنني وجدت لدي ابني رغبة في الانضمام إلي قوات المشاة المدرعة وهي القوات التي تقتحم هذا المخيم وغيره من المخيمات باستمرار " (٢) .

والحقيقة أن الموقف السابق مجرد وسيلة يغطي بها جروسمان علي موقفه كعضو في "حركة السلام الآن " يفترض به أن يرفض القمع والوحشية التي يتعامل بها الجيش الإسرائيلي مع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وإلا فلماذا لم يعلن صراحة أنه يرفض هذا الواقع . ومما يؤكد ذلك ما أدلي به جروسمان عندما توجه بهذا السؤال المستفز إلي أحد المحامين الفلسطينيين:

" يتردد في إسرائيل أحيانا سؤال معاكس : ما هو السبب الذي يجعل التحكم فيكم سهلا إلي هذا الحد ؟! وكيف تفسر حقيقة أننا نتحكم في أكثر من مليون ونصف عربي دونما الشعور بالمتاعب ؟ ولو كان الأمر معاكسا لقلبنا حياتكم إلي جحيم " (٣) .

ومن ناحية أخري يعكس لنا هذا الموقف مدي التحول الجذري في الفكر لدي الجيل الحالي من الشباب الإسرائيلي الذي يندفع وراء العنف والتطرف بغية محاولة تحقيق الذات لا أكثر . وقد أكدت الأيام أن الكثيرين من عرب الداخل يشاركون إخوانهم في الأراضي المحتلة نفس المصير ويقومون بالعديد من أعمال المقاومة في قلب إسرائيل، وهو الأمر الذي يعد ردا واضحا علي الرأي السابق (١).

عكست كتابات جروسمان السياسية تنوعا واضحا فى القضايا التى يعالجها فقد احتلت قضية عرب الداخل - أو " **ערביי ישראל** عرب إسرائيل " كما تطلق عليها الكتابات الصهيونية – مكانا بارزا فى فكر جروسمان فقد أفرد لها كتابا خاصا بعنوان " **נוכחים נפקדים** الحاضرون الغائبون " ١٩٩٢م . ويناقش الكتاب الأزمة التي تسبب فيها وجود نحو مليون ونصف المليون عربى داخل إسرائيل، ألا وهى أزمة الهوية والانتماء داخل الكيان الصهيونى، ومدى تأثير وجود العديد من الأقليات غير اليهودية على مستقبل الكيان الصهيونى . والحقيقة أن الكتاب يعالج بصفة خاصة أوضاع العرب داخل إسرائيل ومشكلاتهم مع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وهو فى هذا الصدد يعكس لنا صورة واقعية بحتة، ويمكن أن يشبه الأسلوب الذى اتبعه جروسمان فى هذا الكتاب الأسلوب الذى كتب به كتاب " **הזמן הצהוב** الزمن الأصفر " من حيث العرض للحقائق والتحذير من تبعاتها .

ومع ذلك يبدو أن جروسمان لا يتعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي دون تحيز لدولة إسرائيل والدليل على ذلك هو أن دافيد جروسمان، والذي أعلن في قناة بي بي سي أنه

علي استعداد للهجرة من إسرائيل بسبب سياسته الاستعمارية وبسبب الاحتلال والمستوطنات، عاد واعتذر عن كلماته هذه في القناة العاشرة الإسرائيلية. وقدم الشاعر بني تسيفر قراءة لهذا الموقف في مقاله بمدونته الشخصية علي موقع هاآرتس. ويكشف مقال تسيفر عن نوع اليسار المزعوم الذي ينتمي إليه جروسمان، وعن تحركات الأدباء الكبار في إسرائيل لمراعاة الذوق السائد.(٢)

قال تسيفر في مقال:

"تم إجراء حوار مع الأديب دافيد جروسمان في البي بي سي وقال هناك " ثم زعم أن كلماته قد أخرجت من سياقها"، إنه إذا توقفت إسرائيل عن أن تكون دولة ديمقراطية، فسيغادرها... تعالوا نفترض أن جروسمان لم يقل بالضبط ما قاله، ولنفترض أن شخصية من شخصيات روايته هي التي قالته، كما قال في الحوار الذي اعتذر فيه والذي تم إجراؤه معه في القناة العاشرة الإسرائيلية. حتي لو افترضنا كل هذا، فهو لم يكن يحتاج لأن يعطي حوارا للقناة العاشرة لتصويب الحوار السابق، وبالتالي لم يكن ليربكنا، اعتذاره مثل عدم اعتذاره، مغادرته لإسرائيل مثل عدم مغادرته إياها. مسموح لأي واحد من سكان إسرائيل أن يغادرها إذا لم تصبح دولة ديمقراطية، بدون الاعتذار عن هذا. وهذا ما يقلق في الكلمات الاعتذارية لجروسمان، والتي يبدو منها أن مغادرة البلد شيء سيء ينبغي تجنبه قدر الإمكان."(١)

وكان لجروسمان رأى فى الغزو الإسرائيلى للجنوب اللبنانى نشره فى مقالا فى صحيفة لبيرسيون **Libération** الفرنسية بعنوان " **Imméditment Adirément au Lébanon** الانسحاب الفورى من لبنان " بدأه بعبارة : " سنخرج من لبنان وذيلنا بين ساقينا " وهى عبارة بلا شك موجعة ومؤلمة، ولكن يكفى أنها شهادة أحد المثقفين الإسرائيليين على ما حدث للقوات الإسرائيلية فى لبنان من خزى وعار حاق بهم نتيجة الانسحاب من الجنوب اللبنانى يجرون أذيال الخيبة والهزيمة . ويستطرد جروسمان قائلا : " لابد أن نعترف بفضيحة استمرار وجودنا غير المجدى فى لبنان غير المجدى، وأن قدرتنا على الردع تنتهى مع كل يوم يمر، وأنه لا مكان لحل عسكرى .. ويجب أن نتذكر أن هذه ليست المرة الأولى التى نخرج فيها من لبنان ففى عام ١٩٨٦م انسحبت قواتنا بعد أن أدركت أن الثمن الذى دفعته من الأرواح كان باهظا للغاية " (٢) " . إن كل دروس التاريخ - والكلام مازال لجروسمان – تؤكد أن الجيش الإسرائيلى فقد قدرته على الردع والتى كان يدعيها فى وجود خصم أضعف منه على جميع المستويات (٣) .

وقد نشر لجروسمان عدد كبير من المقالات السياسية التى عبر فيها عن وجهة نظره فيما يحدث على الساحة الداخلية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، معربا عن تخوفه من السياسات التى تمارسها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ضد الفلسطينيين ومؤكدا أن مثل تلك السياسات ستقود المنطقة إلى كارثة حتمية .

صدر لجروسمان كتاب بعنوان " **המוות כדרך חיים** الموت كأسلوب للحياة " ٢٠٠٣م، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية . ويناقش جروسمان من خلال هذا الكتاب عددا من القضايا المهمة والتى تتسم بالحساسية الشديدة بالنسبة للكيان الصهيونى . فمن بين التساؤلات التى طرحها جروسمان فى الفصل الأول من هذا الكتاب : ما حقيقة الدولة الصهيونية ؟ ومن الذى لعب الدور الرئيس فى تأسيس هذه الدولة ؟ ومن الذى اعتبر أن إسرائيل خاضت حرب ١٩٤٨ م مع العرب دفاعا عن استقلالها أو لتحرير الأرض ؟. وأما في الفصل الثاني فقد أسهب جروسمان في الحديث عن حالة مرضية اعتبرها من أكثر الظواهر شيوعا في المجتمع الإسرائيلي في الفترة الحالية وهى **הפרנויה** البرانويا أو

جنون العظمة وعقدة الاضطهاد، محللاً تلك الظاهرة والدوافع التي أدت إليها بشكل تفصيلي (١) .

والحقيقة أن الآراء التى عرضها جروسمان من خلال هذا الكتاب أن إسرائيل واقع استعمارى صنعته الولايات المتحدة وعصبة الأمم معاً . ويعلق أحد المثقفين الإسرائيليين على هذا الرأى بقوله : " إن الفكرة التى يريد جروسمان أن يبثها فى النفوس هى فكرة خبيثة لابد من الانتباه لها، وعليه – أى جروسمان – أن يدرك جيداً أن إسرائيل لم تكن يوماً من صنع الولايات المتحدة أو غيرها، ولم يكن للشفقة دخل فى قيامها . ولكنى أتفق مع جروسمان فى أن مرض البرانويا أصبح هو المرض الأكثر شيوعاً فى المجتمع الإسرائيلى فى الوقت الحالى، وإن كانت لمرض البرانويا نفسه بعض الأعداء " (٢) .

يعترف جروسمان بالوضع السلبى للإسرائيليين بقوله " نحن نعيش فى منطقة لا تعترف بالوجود الإسرائيلى، بل ولا تستوعبه أيضاً " (٣) .

ويستطرد مؤكداً الفكرة ذاتها " وحتى لو تحقق السلام فسنكون فى أمس الحاجة إلى جيش قوى يحمينا فى تلك المنطقة التى لا ترغب حتى فى وجودنا " (١) .

يرى جروسمان أن من الغريب أنه بعد مرور ما يزيد على ستة عقود على قيام دولة إسرائيل، لم يصل الأمر إلى وجود أرض آمنة لها حدود ثابتة . ويعلق على هذا قائلاً : " كم مرة قمنا باجتياح الأراضى المصرية وخرجنا منها فى النهاية، وكم مرة اجتحنا الأراضى اللبنانية وخرجنا منها هى الأخرى . إن الأمر يشبة وجود حدود مؤقتة لا تلبث أن تتغير بين عشية وضحاها . لا بد لنا أين نبدأ وأين ننتهى .

إن المستوطنات التى تشارك الفلسطينيين فى أرواحهم والهواء الذى يتنفسونه والعرب الذين يشاركوننا الداخل، إن كل هذه التناقضات لا يمكن الحياة معها " (٢) .

ورغم رؤية جروسمان التي تبدو محايدة في موضوع الأمن ورغم مواقفه التي لا تعجب الحكومات الإسرائيلية، إلا أن تلك المواقف لم ترق إلى ما جاء في بعض الأبحاث المستقلة التي تتحدث عن الممارسات الإسرائيلية ضد المواطنين الفلسطينيين. هنا تجدر الإشارة إلى البحث الذي أعده يوئيل اليتسور ونوفر يشاي كارين، والذي حمل شهادات أدلى بها شباب وجنود في الجيش الإسرائيلي ممن خدموا ضمن سرية في قطاع غزة إبان الانتفاضة الأولى. يصفون بصراحة شديدة العملية النفسية التي مروا بها وطريقة تفكيرهم والأعمال التي ارتكبوها ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.(٣)

يبدو أن هذا الأمر لا يحمل جديدا، فقد قرأنا الكثير من هذه الشهادات، وأصبح من الطبيعي أن يمر القارئ الإسرائيلي عليها مرور الكرام وأن يطلق تنهيدة عند سماعها أو يرد عليها بكلمات مضادة غاضبة وينساها على الفور . ورغم ذلك يبدو هذا البحث مخيفا بشكل غير متوقع، حيث إن الشهادات الواردة به بين ثنايا فصول التحليل العلمي تكشف عملية فوضوية من التفكك السريع لأبسط قواعد الثقافة والقيم الإنسانية. لا يمكن الدفاع عن الواقع الذي تكشفه الشهادات ولا يمكن تبريرها بأي مبرر من مبررات الدواعي الأمنية أو الممارسات الشاذة التي يتم ارتكابها تحت وطأة القتال. (١)

وبالإضافة إلى موقفه السياسي الذى عبر عنه من خلال كتاباته كان له عدة مواقف سياسية نذكر منها على سبيل المثال :

إلقاء الخطب عن السياسة الإسرائيلية وعن الوضع الإسرائيلى، ورفضه مصافحة ليبرمان عند تسليمه جائزة " إيميت " قائلا " لا مصافحة للقتلة والمتامرين"، وقد صرح بأن ما ارتكبته اسرائيل من انتهاكات فى حرب "الجرف الصامد" دليلا على أن التعامل بالقوة يؤدى الى عنف وكراهية أكثر، وذلك لا يحل مشكلة، كما صرح على القناة العاشرة الإسرائيلية بأنه على استعداد للهجرة من اسرائيل، وأن القيادات الإسرائلية سواء كانت

سياسية أم عسكرية فهى جوفاء، وأن اسرائيل ماهى إلا مأوى يضم اللاجئين الذين هربوا من مصائرهم، و دعا لوقف إطلاق النار أثناء حرب لبنان الثانية من خلال صحيفة "نيويورك تايمز" قبل مقتل ابنه بيومين، ونادى بوقف فورى غير مشروط لحرب الجرف الصامد. (٢)

٤- التراث الدينى اليهودى :

أما المؤثرات الدينية والتراثية فنجد لها مكاناً قصياً فى وجدان جروسمان ذلك لأنه أديب علمانى لا يعترف بالدين إلا كنوع من أنواع التراث التاريخى . والدليل على هذا أن جروسمان يرفض فكرة مقولة " شعب الله المختار " وهى من أكثر المقولات التى تزعجه، كما أنه يرى أن القناعة التى تكونت لدى الشعب الإسرائيلى بأنه شعب رحيم من نسل رحماء هى السبب الذى أدى إلى جعل الشعب الإسرائيلى منبوذاً ومنعزلاً عن العالم.

وبالرغم من هذا نجده فى أولى رواياته " **חיוך הגדי** ابتسامة الجدى " ١٩٨٣م يشير فى العنوان إلى قضية مقرائية شهيرة وهى (**עקידת יצחק** قضية الذبيح) [١] أو التضحية بإسحق، غير أن جروسمان لم يسترسل فى وصف ما حدث من خلال الرواية وإنما استلهم من الحدث عنواناً يساير أحداث الرواية، مع تغيير النهاية بما يتوافق مع آرائه السياسية، وهو ما يؤكد أن الكتب الدينية صارت – بالنسبة لعدد كبير من الإسرائيليين – مجرد مصادر أدبية وأسطورية يستوحون منها ويستلهمون ما يخدم النص الأدبى والفكر الذى يعرضون له فى العمل . [٢]

٥- انضمامه لجماعة السلام الآن :

ولم يتوقف التعبيرعن المواقف السياسية عند جروسمان عند حد الأعمال الأدبية فهو عضو نشط من أعضاء حركة " السلام الآن " منذ انضمامه للحركة فى عام ١٩٧٩م، وذلك فى أعقاب توقيع اتفاقية كامب ديفيد وزيارة الرئيس السادات لإسرائيل . وقد شارك فى العديد من مسيراتها الاحتجاجية على السياسات الوحشية ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، كما اعتقل جروسمان فى أعقاب إحدى التظاهرات السلمية فى عهد رئيس الوزراء الإسرائيلى إسحق رابين عام ١٩٩١م .

وقد نشر لجروسمان عدد كبير من المقالات السياسية التى عبر فيها عن وجهة نظره فيما يحدث على الساحة الداخلية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، معرباً عن تخوفه من السياسات التى تمارسها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ضد الفلسطينيين ومؤكداً أن مثل تلك السياسات ستقود المنطقة إلى كارثة حتمية .

يناقش جروسمان من خلال هذا الكتاب " **המוות כדרך חיים** الموت كأسلوب للحياة " ٢٠٠٣م، والذى ترجم إلى الإنجليزية عدداً من القضايا المهمة والتى تتسم بالحساسية الشديدة بالنسبة للكيان الصهيونى . فمن بين التساؤلات التى طرحها جروسمان فى الفصل الأول من هذا الكتاب : ما حقيقة الدولة الصهيونية ؟ ومن الذى لعب الدور الرئيس فى تأسيس هذه الدولة ؟ ومن الذى اعتبر أن إسرائيل خاضت حرب ١٩٤٨م مع العرب دفاعاً عن استقلالها أو لتحرير الأرض ؟. وأما فى الفصل الثانى فقد أسهب جروسمان فى الحديث عن حالة مرضية اعتبرها من أكثر الظواهر شيوعاً فى المجتمع الإسرائيلى فى الفترة الحالية وهى **הפרנויה** البرانويا أو جنون العظمة وعقدة الاضطهاد، محللاً تلك الظاهرة والدوافع التى أدت إليها بشكل تفصيلى [١]

ويرى جروسمان أيضاً من خلال هذا الكتاب أن السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين مهدد بفعل عوامل كثيرة منها :

١. إقصاء عرفات عن أى نشاط سياسى .

٢.تولى حزب الليكود الحكم .
٣.العنف المتبادل والذى أدى إلى عرقلة مسيرة السلام [٢] .

والحقيقة أن الأسباب الثلاثة السابقة هى بالفعل من أبرز العوامل التى ساعدت على عرقلة مسيرة السلام بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى بشكل مباشر، ولكن المثير فعلاً هو ذلك التحول الغريب فى المواقف من قبل جروسمان بعد أن كان متذبذب الرأى فيما يتعلق بالأحداث الراهنة كما أسلفنا من قبل . وربما كان السبب فى هذا التحول هو عدم قدرة الجانب الإسرائيلى على استئصال شوكة المقاومة وإضعافها، مما أوجد شعوراً عاماً بعدم جدوى الاستمرار فى العمليات العسكرية لدى قطاع كبير من الجمهور الإسرائيلى، بعد أن كان قد وصل إلى مرحلة من القناعة بفلسفة القوة وسياسة فرض الأمر الواقع التى تمارسها الحكمة الحالية بشكل موسع .

ويعترف جروسمان بالوضع السلبى للإسرائيليين بقوله : " نحن نعيش فى منطقة لا تعترف بالوجود الإسرائيلى، بل ولا تستوعبه أيضاً " (٣) . ويستطرد مؤكداً الفكرة ذاتها : " وحتى لو حقق السلام فسنكون فى أمس الحاجة إلى جيش قوى يحمينا فى تلك المنطقة التى لا ترغب حتى فى وجودنا " (٤) .

الخاتمة:

بناءا على ماسبق أهم عناصر الأتجاهات الفكرية لدى جروسمان :

١. أثرت دراسة جروسمان للفسلفة بشكل كبير على تفكيره وانعكس ذلك فى طريقة تناوله للموضوعات التى تزخر بها رواياته .
٢. أثرت طفولة جروسمان بشكل كبير فى تشكيل شخصيته الأدبية وصياغة ملامحها العامة حيث تأثر بشدة بالقصص التى كان يقرأها وهو طفل صغير سواء فى بيت أبويه أو بيت جده وكان لها أثر كبير فى تشكيل وعيه ووجدانه، وانعكس ذلك فى معظم أعماله حيث أن معظم أبطالها هم أطفال دون سن البلوغ.
٣. تأثره بذكريات التجربة النازية التى ورثها عن والديه كان لها أثرنفسي لدى جروسمان وانعكس ذلك فى أبطال أعماله حيث يوجد العديد من السمات التى تجمع بين هؤلاء الأبطال الأطفال كالمعاناة والخوف من المجهول .
٤. تلعب السياسة والواقع الإجتماعى للمجتمع الإسرائيلى دورا بارزا فى تشكيل ملامح الشخصية الأدبية لدى جروسمان حيث يعبر فى معظم أعماله عن مواقفه السياسية إزاء القضايا المختلفة التى شهدها جيله سواء سياسية أو إجتماعية كالأوضاع فى مخيمات اللاجئين الفلسطنيين وقضية عرب الداخل.

والمحصلة النهائية لفكر جروسمان هى أنه أديب يهتم بمختلف مراحل الطفولة باعتبارها أكثر المراحل حرجاً فى حياة الإنسان والتى يمكن من خلالها استشراف ملامح شخصيته فى المستقبل، كما يمكن أن نعتبر جروسمان من بين الأدباء المعتدلين فى توجهاتهم السياسية، والذين لا يرفضون فكرة الحوار مع الطرف الآخر بهدف التوصل إلى حل يدرأ عن المجتمع الإسرائيلى أخطاراً كثيرة منها السقوط فى دوامة العنف والعنف المضاد، وطمث الهوية الإسرائيلية من خلال الاختلاط مع العرب فى الداخل، وغيرها من المشكلات .....

Abstract

The Intellectual Attitudes of David Grossman

Suzan abo uelsoud

Left-wing movements appeared later to look for resolutions for the Arab-Israeli conflict in peaceful ways and away from blood sheds and wars. This movement brought a generation of litterateurs and authors such as Amous Aouz, A.B. Yaho Showa and David Grossman who dedicated their lives through their literary works to settle the Arab-Israeli conflict on both sides as the accent of conflict remained the only feature in this relationship and the overwhelming on the greater part of Israeli literary works. Moreover, the Israeli literature was first busy in managing, increasing, and inflaming conflict, neglecting at the same time the social side and the different social issue within Israel.

It was much interesting to find a writer such as David Grossman who abandoned completely the talk about any political, religious, or ideological issue that involved the Arab-Israeli conflict and concerned only with social topics such as family disintegration, children eloping from home, deviation, and parents' negligence of children who are drugs-addicts and became easy hunt for gangs.

الهوامش

(١)Hebrew Writers. A General Directory of Hebrew Writers. Printed in Israel – April 1993 . p 34

(٢)http://blogdebate.org/gender/journal/wp-content/uploads

(١) שקד , גרשון . הסיפורת העברית . עמ' 351

(٢) נבות , אמנון . גדי יפה בחלב ספרותי מקולקל . עכשיו (גל' 49) אביב 1984 . עמ' 326

(٣) שם . עמ' 327

(١) عناني، محمد: الأدب وفنونه . الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٧ . ص ١٨

(٢) הרצאה לרגל צאת ספרה של רחל צורן، 'חותם האותיות'/ דויד גרוסמן ٥ בינואר 2010 ، יום עיון באוניברסיטת חיפה.

(٣) פסר ، יעקב . דוד גרוסמן : כשכותבים "בלש" לא ממש מגיעים להארלם . עמ' 14

(١) שם . עמ' 15

(٢) הרצאה לרגל צאת ספרה של רחל צורן، 'חותם האותיות'/ דויד גרוסמן .בינואר 2010 ، יום עיון באוניברסיטת חיפה.

(٣) שם . עמ' 5

(١) Shaked , Gershon . A portrait of a young artist from Jerusalem . The institute for modern Hebrew literature . Tel-Aviv 1992 . P 38, نقلا عن

الرواية السياسية عند الأديب الإسرائيلى دافيد جروسمان دراسة فى المضمون والشكل، (رسالة ماجيستير) شريف نصر زكى نصر، كلية الأداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٥ .

(٢) גרוסמן، דויד: חיוך הגדי.

(١) פסר ، יעקב . דוד גרוסמן : כשכותבים "בלש" לא ממש מגיעים להארלם . עמ' 16

(٢) נגב , אילת . הג'ינגי עם המפתחות של הצוללת . מוסף הארץ – יום שבת 1998 – 10 – 4 . עמ' 80

[١] عبدالله الشامي، رشاد: الاتجاهات الرئيسية للأدب العبرى المعاصر فى إسرائيل (مقال منشور) مجلة عالم الفكر – العدد (٣٣) . ص ٣٣ - ٣٤

[٢] אלדן ، יאיר: החתירה היהודית לחוסר ודאות בדמיון ، תבניות של זהות יהודית בויכוח על כינון חוקה، ספר אלקטרוני

[٣] אות כתב עת לספרות ולתיאוריה ، אוניברסטת תל-אביב ،גליון02، 2012 ، עמ212

[١] שם ، עמ'212

[٢] אות כתב עת לספרות ולתיאוריה ، אוניברסטת תל-אביב ،גליון02، 2012 ، עמ213

[١] נגב , אילת . הג'ינגי עם המפתחות של הצוללת . מוסף הארץ – יום שבת 1998 – 10 – 4 . עמ' 80

[٢] כהן، אשר: הכיפה והכומתה- דימוי ומציאות ، השיח הציבורי על הציונות הדתית והשירות הצבאי ، עמ' 90

[٣] שם، עמ' 90

[١] כהן، אשר: הכיפה והכומתה- דימוי ומציאות ، השיח הציבורי על הציונות הדתית והשירות הצבאי

(١) גרוסמן , דוד . הזמן הצהוב . הוצאת הקיבוץ המאוחד . הדפסה שניה 1987 . עמ' 171-172

[١] https://ar.qantara.de/content/lktb-lsryyly-dfyd-grwsmn-yktb-hwl-lml-wlys-nfsm-lhl-n-lwy-fy-sryylfy-mtht-lbhth-n-lslm

(٢) קרפל ، דליה . " הסופר דוד גרוסמן מדבר על קנאת גברים ועל עוד הפרעות פרטיות ולאומיות " . מוסף הארץ – שבת 24-5-2002، עמ' 18

[٣] محمود حسن(زين العابدين)، انعكاسات الانتفاضة في الأدب العبري قراءة في قصة " هذيان "، بحث منشورفى مجلة اللغات والترجمة جامعة الملك سعود، ١٣١٩ ، ص ٢

[١] קרפל، דליה : שם

[٢] http://www.masress.com/adab/1433

(١)http://www.masress.com/adab/1433

(٢) Grossman , David. Immédiament Adiré move Lébanon.(Libération) Mardi ٢٠٠٠-٢-٢١ P 3 .

(٣) PP 3

[1] גרוסמן , דוד . המוות כדרך חיים . (ישראל : עשר שנים אחרי אוסלו) . הוצאת הקיבוץ המאוחד . ירושלים 2003 . עמ' 63

[2] בלבן , אברהם . הזיות ותוצאותיהן . הארץ 11-12-2003 . עמ' 7

(٣) שם . עמ' 62

(١) שם . עמ' 62

(٢) קרפל, דליה . עמ' 63

(٣) כתם של עננה קלה ، חיילים ، צבא וחברה באינתיפאדה. עורך: יואל אליצור ، הוצאת הקיבוץ המאוחד، 2012 ، עמ'77 .

[١] שם

(٢) السيدعبداللطيف،خالد :إرهاصات ورؤى نقدية انية للواقع الإسرائيلى من خلال رواية סוס אחד נכנס לבר، مقال، جامعة الازهر٢٠١٤، ص٨

(١) עקידת יצחק تقييد إسحاق : جاء في سفر التكوين (٢٢ : ١-١٩) بقصة نبي الله إبراهيم مع ولده إسحق (كما جاء في العهد القديم) حينما هم بذبحه تقرباً إلى الله وامتثالاً لأمره إلى أن فداه الله بكبش من السماء . ومن يومها صار إسحق رمزاً للمعاناة والخطر المجهول الذى يتهدد الكيان الإسرائيلى . وقد دأب الأدباء الإسرائيليون على تناول تلك القضية كلما شعروا بالخطر أو عايشوه كدليل على الإحساس بدنو النهاية .

(٢) Stevenson , David . Seven days with David Grossman . (an article) From the internet (www.yahoo/literature/html.com) . P 4

(١) גרוסמן , דוד . המוות כדרך חיים . (ישראל : עשר שנים אחרי אוסלו) . הוצאת הקיבוץ המאוחד . ירושלים 2003 . עמ' 63
(٢) קרפל, דליה . הסופר דוד גרוסמן מדבר על קנאת גברים ועל עוד הפרעות פרטיות ולאומיות " . עמ' 61
(٣) שם . עמ' 62
(٤) שם . עמ' 62

المراجع:

أولا : الكتب والمراجع العربية:

١. . دكتور زين العابدين محمود حسن . انعكاسات الانتفاضة في الأدب العبري قراءة في قصة " هذيان "
٢. الرواية السياسية عند الأديب الإسرائيلى دافيد جروسمان دراسة فى المضمون والشكل، (رسالة ماجيستير) شريف نصر زكى نصر، كلية الأداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٥
٣. السيدعبداللطيف،خالد :إرهاصات ورؤى نقدية انية للواقع الإسرائيلى من خلال رواية סוס אחד נכנס לבר، مقال، جامعة الازهر٢٠١٤
٤. عبدالله الشامي، رشاد: الاتجاهات الرئيسية للأدب العبرى المعاصر فى إسرائيل (مقال منشور) مجلة عالم الفكر – العدد (٣٣) .
٥. عناني، محمد: الأدب وفنونه . الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٧

ثانيا: الكتب والمراجع العبرية:

1. אלדן ، יאיר: החתירה היהודית לחוסר ודאות בדמיון ، תבניות של זהות יהודית בויכוח על כינון חוקה، ספר אלקטרוני
2. אות כתב עת לספרות ולתיאוריה ، אוניברסטת תל-אביב ،גליון02، 2012 ،
3. בלבן , אברהם . הזיות ותוצאותיהן . הארץ 2003-12-11 .
4. גרוסמן , דוד . הזמן הצהוב . הוצאת הקיבוץ המאוחד . הדפסה שניה 1987 .
5. גרוסמן، דויד: חיוך הגדי
6. גרוסמן , דוד . המוות כדרך חיים . (ישראל : עשר שנים אחרי אוסלו) . הוצאת הקיבוץ המאוחד . ירושלים 2003 .
7.הרצאה לרגל צאת ספרה של רחל צורן، 'חותם האותיות'/ דויד גרוסמן בינואר 2010 ، יום עיון באוניברסיטת חיפה.
8. כתם של עננה קלה ، חיילים ، צבא וחברה באינתיפאדה. עורך: יואל אליצור ، הוצאת הקיבוץ המאוחד، 2012
9. כהן، אשר: הכיפה והכומתה- דימוי ומציאות ، השיח הציבורי על הציונות הדתית והשירות הצבאי
10. נבות , אמנון . גדי יפה בחלב ספרותי מקולקל . עכשיו (גל' 49) אביב 1984 .
11. נגב , אילת . הג'ינגי עם המפתחות של הצוללת . מוסף הארץ – יום שבת 1998 – 10 – 4 .
12.פסר ، יעקב . דוד גרוסמן : כשכותבים "בלש" לא ממש מגיעים להארלם .
13. קרפל ، דליה . " הסופר דוד גרוסמן מדבר על קנאת גברים ועל עוד הפרעות פרטיות ולאומיות " . מוסף הארץ – שבת 24-5-2002 .
14. שקד , גרשון . הסיפורת העברית .

ثالثا : الكتب والمراجع الأجنبية :

1..Hebrew Writers. A General Directory of Hebrew Writers. Printed in Israel – April 1993
2.Grossman , David. Immédiament Adiré move Lébanon.(Libération) Mardi.
3.Shaked , Gershon . A portrait of a young artist from Jerusalem . The institute for modern Hebrew literature . Tel-Aviv 1992 .
4. Stevenson , David . Seven days with David Grossman . (an article) From the internet (www.yahoo/literature/html.com) . P 4